تخطفه في مخلب الجور غيلةً ... فزجَّ به من مظلم السجن في القعر
تنوء به الاقياد ان رام نهضة ... فيشكو الاذى والدمع من عينه يجري
تناديه والسجان يكثر زجرها ... عجوز له من خلف عالية الجُدُر
بُنيَّ أظن السجن مسَّك ضره ... بُنيَّ بنفسي حلَّ ما بك من ضر
بُنيَّ استعن بالصبر ما أنت جانياً ... وهل يخذل الله البريء من الوزر
فجُنَّت أعاطيها العزاء وأدمعي ... كأدمعها تنهلّ مني على النحر
وقلت وقد جاشت غوارب عبرتي ... ألا ان هذا الشعر من أفتل الشعر

بغداد — معروف الرصافي

الشرق في الغرب

من مقالة للسير لوسين بوغا في مجلة العالم الاسلامي

عُني اهل المجر وهم من اصل آسياوي وبلادهم على أبواب الشرق بالمباحث الشرقية عناية كبرى على ما هو مأثور عنهم من التوفر على خدمة العلم. وما زالوا منذ قرون كثيرة جيران شعب مسلم يتحدون معه في الاصول وان اختلفوا في الفروع ويتكلمون لغة تكاد تشبه لغته ولذلك رأوا من الواجب عليهم ان يتمحضوا لدراسة الموضوعات الاسلامية

قام منذ سبعين سنة رجل عالم غيور منهم اسمه كوسما كوروس فزار آسيا ليبحث فيها عن اصل الامة المجرية. وتاريخ حياة هذا الرجل يشبه تاريخ أرمنيوس فمبري في كثير من أدواره. لم يرَ كوروس حرجاً في دخول دير للبوذيين في بلاد التبت بصفة كاهن رجاء الوقوف على احوال شعوب

آسيا الوسطى ولم يخرج من الاخذ عن علماء بوذيين

ثم قام فمبري الذي طاف آسيا الوسطى لابساً ثياب درويش والاستاذ غولدسير الذي طلب العلم في الازهر. وكان من اعمال هؤلاء الرجال اكبر مجدلا متهم في خلال القرن التاسع عشر. وما برح علماء المجر يقصدون الهند الواحد تلو الآخر يبحثون في علومها وتاريخها واديانها ومنهم اليوم أورل ستين نزيل آسيا الوسطى الذي عرفت الحكومة الانكليزية ان تنتفع من مباحثه في شمالي الهند وبلوجستان وأتى بفوائد جمة

ومما لا مشاحة فيه ان رؤساء هذه المباحث اليوم في بلاد المجر هما الاستاذان فمبري وغولدسير من اساتذة كلية بودابست وقد اختص الاول بتعلم اللغة التركية حتى اتقنها اتقانه للغته وخدمها أجل خدمة وانصرف الثاني الى دراسة العربية واللغات السامية

ولد فمبري سنة ١٨٣١ أو ١٨٣٢ من أسرة يهودية فقيرة في بلاد المجر في قرية سان جيورجين وبعد ان تلقن مبادىء التعليم في قريته أخذ في تعلم العبرية والدين ثم انتقل الى مدرسة برتستانتية فتعلم فيها اللغة المجرية واللاتينية ومنها دخل مدرسة أخرى رومية ثم مدرسة كاثوليكية

ولما أتم دروسه كان قد أتى على آخر ما يملك من الدراهم فاضطرته الحال الى ان يعلم اطفالاً براتب ١٥٠ فلورينياً عند أسرة اسرائيلية في بلدة مارينتال وانتقل بعد الى التدريس براتب اكثر في بيت أسرة في قرية كوتيفو من أعمال سلافونيا. فترك مقامه في هذه القرية أجل أثر في نفسه لانه تجلى له فيها السبيل الذي يتحتم عليه سلوكه في حياته العلمية. ففيها عقد

العزم على ان يكون عالماً باللغات وفيها شرع لاول امره بتعلم التركية وبالنظر في المباحث التي أطارت شهرته في العلم وفيها درس التركية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والدانيركية والسويدية

واذ رأى ان ينصرف الى البحث في احوال الشرق نزل عاصمة فينا يستنصح العالم دي هامير الذي نشطه على ما هو آخذ نفسه في سبيله فذهب الى بودابست يتعلم فيها العربية والفارسية . وقضت عليه الحاجة في هذه المدينة ايضاً ان يكون مؤدباً ليسد بما يناله من الاجر بعض حاجته ولما كانت نفسه تنزع به الى رؤية الشرق لم يعتم عند ما اقتصد ١٢٠ فلورياً ان سافر الى الاستانة

وصف فمبري هذه العاصمة عقيب حرب القريم سنة ١٨٥٧ فقال ان شُذَّاذ الآفاق كانوا ينهالون عليها من كل صوب واوب والعثمانيون لا يكادون يعبأون بكل وارد عليهم بيد انهم تلقوا المترجم بالعطف وعاملوه بالاحسان فكان لما بلغ الاستانة لا يملك الا دريهمات وصادف صعوبات جمة لاول أمره لكنه تمكن من التغلب عليها بمساعدة احد مواطنيه ممن انخرطوا في خدمة الدولة العثمانية وأعني به القائد كمتي الذي دُعي بعد باسم اسمعيل باشا فسمي له هذا بوظيفة معلم عند اسرة في بك اوغلي ومن ذلك الحين دخل على ناظر الخارجية رفعت باشا بصفة استاذ وأخذ فمبري يتشبه بالعثمانيين في أطواره ومناحيه عملاً بنصائح وطنيه اسمعيل باشا ومجاراةً له فدعا نفسه رشيد افندي وأخذ يتعرف الى اهل الطبقة العليا في الاستانة على ذلك العهد ويختلط بهم ويعاشرهم . وفي خلال ذلك ايضاً بدأ يشتغل في الصحافة

فعين مراسلاً لاحدى الجرائد الالمانية الكبرى

أصبح فمبري « أفندياً » بحتاً لا ينقص عن أدباء الاستانة في معرفة اللغة التركية وآدابها . ولكنه لم يقنع بما حصل له من ذلك بل طمحت به نفسه الى زيارة آسيا الوسطى وهي البلاد التي قام منها الاتراك وهاجروا أوربا ليتيسر له ان يسمع اللغة التركية الاصلية في موطنها تلك اللغة التي لطُفَت فكانت منها اللغة العثمانية اليوم

وكانت الصعوبات التي تحول دون هذه الامنية كثيرة الا ان الاستاذ فمبري لم يبالِ بالمصاعب . وغادر الاستانة بمساعدة المجمع العلمي الذي عينه عضواً مراسلاً ليرحل رحلة كانت فيها شهرته وبعد صيته . فاكتسى ثياب مسلم واجتاز آسيا الصغرى ودخل فارس فعرفه العامة من ثيابه بانه سني وراحوا يطيلون اليه يد الاذى. وبعد شقّ النفس بلغ طهران ونال من ناظر خارجيتها اذ ذاك المرزا سيد خان جوازاً بمتابعة سيره

ذكر المترجَم به ما لقيه في رحلته هذه من المتاعب فانه طاف بلاد فارس متنكراً في ثياب درويش وكاد يكشف أمره ويعرف انه ليس من أهل الاسلام ولكنه نجا ولم تدرك حقيقته . ثم التحق بجماعة من الحجاج فرافقهم الى خيوه وبخارى ولقي من سفره هذا نصباً لم يكن أقل مما لقيه في مبدإ رحلته وبعد سنة عاد الى طهران فطلبته روسيا ان يكون موظفاً عندها فابى وعاد الى بودابست سنة ١٨٦٤

وبعد ان قضى فيها مدة طُلب الى انكلترا بالحاح شديد فذهب اليها واستقبل فيها بالحفاوة . وقد نشر فيها رحلته هذه بالانكليزية فلم تلبث ان

ترجمت الى لغات اوربا واشتهر امرها وكانت الحكومة الانكليزية تود كثيراً ان تجعل في جملة رجالها رجلاً كالاستاذ فمبري يعرف الشرق معرفة حقيقية ليكون منه لها أحسن خدمة ولكن العالم المجري آثر ان يعود الى وطنه على شدة حبه لانكلترا. وعند عودته عين استاذاً لكلية بودابست فكان فيها اول استاذ غير كاثوليكي

وهنا انتهى تاريخ جهاد هذا الرجل وقد دام ثلاثاً وثلاثين سنة من حياته — وذكر فمبري في الفصول الاخيرة من رحلته كيف زار انكلترا وفرنسا والتقى فيهما الملوك والامراء وأعاظم العلماء ورأى منهم الحفاوة وأورد في فصلين اجتماعه بالسلطان عبد الحميد خان صديقه القديم والتقاءه بشاهي الفرس الاخيرين. وما أحلى الصفحة التي ذكر فيها كيفية اجتماع ناصر الدين شاه به لما اجتاز هذا مدينة بودابست في رحلته الى اوربا ودهشته لما رأى في المجمع العلمي المجري ذاك الدرويش الذي كان لقيه في طهران منذ بضعة عقود من السنين

كتب فمبري في العلم والسياسة وكل ما خطته يمينه نافع خطير. فقد ابتدأ يعمل في الصحافة بعد بلوغه الاستانة بقليل من الزمن ومن ذاك العهد لم يفتأ يؤازر في عدة مجلات انكليزية واميركية والمانية وافرنسية. والسنُّ لم توقفه عن نشاطه ولا عاقت حركته عن الانبعاث فانا نراه الى اليوم يتناول الموضوعات المختلفة بالهمة المعهودة فيه فينا نراه يبحث في اللغات وعلمها اذا هو يبحث في الآداب فاصول الشعوب فالتاريخ فالسياسة فالاحوال الاجتماعية

أما أغناس غولدسير المشار اليه فهو من أعاظم العلماء بالعربية في قارة أوربا . ولد سنة ١٨٥٠ فتخرج بارمنيوس فمبري الموما اليه ثم قضى اربع سنين في كليات برلين ولبزيك وليد. وفي الثالثة والعشرين من عمره عهدت اليه حكومته بمهمة فسافر الى سورية ومصر وقيد نفسه في طلبة الجامع الازهر ولما عاد الى بلاده عين أستاذاً في كلية بودابست وعضواً في المجمع العلمي المجري رصيفاً لاستاذه . ولغولدسير القدح المعلّى في علم أصول اللغات السامية وأصل اللغة العربية خاصة وهو بحر طام في تاريخ الاسلام

وهنا عدد الكاتب بعض أعمال هذين الرجلين في العلم وذكر جانباً من مصنفاتهما وعقب عليها بذكر بعض كبار علماء المشرقيات من المجر ومنهم من خص بتعلم التركية ومنهم الاخصائيون بالعربية وكلهم يخدمون الآداب الشرقية حق الخدمة . ففي قسم الفلسفة من كلية بودابست صفان للغة التركية وآدابها ولاصل اللغة الفارسية وفي القسم الديني منها صف للعربية والسريانية والكلدانية . وليس لتعليم اللغات الشرقية في بلاد النمسا والمجر غير كليتي بودابست وفينا

وللابحاث العلمية في المجر موارد غنية تساعد القائمين بها على البحث والتنقيب . منها المجمع العلمي المجري الذي جعل في زمرة اعضائه أناساً من المستشرقين أمثال فمبري وغولدسير وزيشي . ومنها جمعية علم خصوصيات الشعوب المجرية التي أنشأت فرعاً شرقياً خدم الابحاث الاسلامية أجلّ خدمة سواء كان بعلم أحوال الامم وأصولهم وأخلاقهم وتفرقهم (ايتنولوجيا وايتنوغرافيا) أو بعلم اللغات والادب والآثار والتاريخ والجغرافيا

وفي سنة ١٩٠٤ انشأ المجمع الدولي الآسياوي جمعية مجرية للبحث التاريخي والاثري واللغوي واصول الامم في آسيا الوسطى والشرق الاقصى. وهذه الجمعية تبحث بحثاً علمياً في بلاد الاورال وتتفرغ ما عدا البحث في اخلاق الامم وتفرقهم للابحاث المتعلقة بامم الاورال الالتايكية[1] كما تبحث في حالة البلاد التي ينزلها غير هؤلاء الشعوب وتعين هذه الجمعية فئة من علماء المجر تكون لهم صلة مع سائر الجمعيات والعلماء من الامم الغربية وتتفق على من يرحل الرحلات العلمية وتتفق مع سائر الجمعيات العلمية في المجر ليكون العمل بينهن مشتركاً ولا سيما فيما يتعلق بالآثار والعاديات. وتوزع الاعانة السنوية التي تعطيها نظارة الاديان والمعارف في المجر ثلاثة أثلاث. ثلث على المجلة التي هي لسان حال الجمعية والتي تنشر اعمال الاعضاء ومباحثهم. والثلثان الآخران يوزعان بالسوية على الفروع التي تريد الجمعية مساعدتها ولا سيما فرع اللغة والبحث في اصول الشعوب والآثار والتاريخ. وتعين نظارة الاديان والمعارف هؤلاء الاعضاء الى اربع سنين فاذا اتموا هذه المدة يقدمون لائحة بمن يرشحونهم بعدهم لتقر النظارة عليهم وقد انتخب للرئاسة هذه المرة الاستاذ فمبري.

وفي جانب هذه الجمعيات العلمية الصرفة جمعيات اقتصادية لا تقل عنها فائدة. فان المتحف التجاري الامبراطوري المجري في بودابست أسس سنة ١٨٨٧ وهو من المباني الفخيمة ويعد رسمياً تجارياً ونصب له وكلاء في جميع

(١) هي الامم التي كانت تعرف قديماً بالتاتار وهي عبارة عن الاتراك والتركمان والمجر والقرغيز

ارجاء بلاد البلقان كما له وكلاء في الاسكندرية وتونس . وقد أسس هذا المتحف فادرك لاول عهد تأسيسه ضرورة التعليم الابتدائي لاعداد بعض النشء للتجارة مع الشرق فانشأ سنة ١٨٩١ صفاً للتجارة الشرقية وهو الذي اصبح اليوم مجمعاً علمياً للتجارة ثم اعيد تنظيمه سنة ١٨٩٨ - ١٨٩٩ فنتجت منه احسن النتائج

اما التعليم الذي شرعه هذا المجمع العلمي فيتناول عدة ابحاث ومعارف يدرسها المتعلم في سنتين وهي عملية حقيقية لا نظرية خيالية . واهمها تعلم اللغات الشرقية ولغات بلاد البلقان خاصة والعلوم التجارية والقنصلية وعدة مواد اخرى . وعلى كل طالب ان يتعلم سنتين اللغات الشرقية وهي الرومانية والصربية والبلغارية والتركية والرومية الجديثة والعربية العامية والروسية . وان يتعلم المراسلات التجارية والكلمات الاصطلاحية في التجارة والقضاء وان يتعلم من اللغات الاوربية الايطالية والفرنسية ومن العلوم جغرافية الشرق ولا سيما بلاد البلقان وآسيا الصغرى وعلم اصول امهما واخلاقهم وعلم التجارة والجارك والحقوق العمومية والادارية وقوانين التجارة وطريقة الاعتمادات .

وهناك صفوف لتعليم اللغات الشرقية تقام في المساء . وقد خصص المجمع العلمي مبلغاً من المال ليستعين به بعضهم على التعلم وحذا حذوه في هذا السبيل بعض أرباب الخير وغيرهم . ثم رأت هذه الجمعيات العلمية انه لا غنية لها عن صحيفة تكون لسان حالها وسجل أبحاثها وتحقيقاتها فانشأت مجلة شرقية تكتب بجميع لغات أوربا وتباع بثمن بخس تعنى بالمباحث

الاورالية الالتايكية سمتها « كليتي زميل » وبعام خصوصيات الشعوب وتنشر مقالات عن الامم الشرقية النازلة بين نهري فولغا وأورال من الجنس الفينو المجري وأبحاثاً في العنصر التركي وتعنى عناية خاصة بنشر التقاليد القديمة أو العامية وتبحث في صلات الامم الاورالية الالتايكية بعضها مع بعض أو مع غيرها وتبحث في احوال الشعوب الآسياوية ولا سيما في أصول التاتار والامم القافقاسية والايرانية والصقلبية (اللاتية) وغيرها

وقد قال العالمان اللذان عُنيا بادارة شؤون هذه المجلة ان المجر هم زعماء العناصر الاورالية والالتايكية وممثلو تلك الحضارة نزلوا بلادهم منذ الف سنة وظلوا محتفظين بلغتهم وهي أشبه بجزيرة خضراء في الشرق وسط بحر محيط مؤلف من سيل الشعوب الجرمانية والصقلبية على حين ان أمماً كثيرة تماثلهم كالبلغار والبشناق والخزر والكومان لم يتركوا أثراً من تاريخهم يذكر وبادت مملكتا الهونس والافار[1] وذهبتا ذهاب امس الدابر

وختم الكاتب هذا الفصل بتعداد ما كتبه اولئك الاعلام من الابحاث الممتعة وشاركهم في وضعه زمرة من علماء المشرقيات من الالمان والفرنسيس والانكليز والروس والترك وكان للمباحث الاسلامية ولا سيما التركية منها شأن عظيم في سجل اعمالهم

(١) الهونس امة بربرية كانت على شواطئ بحر الخزر اقتضّت على اوربا بزعامة البطل اتيلا في نحو القرن الخامس للميلاد . والافار شعوب من اصل اورالي الالتايكي هاجت اوربا ثلاثة قرون وقضى عليها شارلمان امبراطور الفرنسيس في القرن الثامن